الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله وفكره الإصلاحي

م.د. محمد صادق محمد الداموك

التدريسي في كلية الإمام الأعظم رحمه الله الجامعة

تخصص فكر ودعوة

Sheikh Abdelhamid Ben Badis God's mercy and thought reform

MD Mohammad Sadiq Mohammad Damouk
Teaching at the College of Great Imam God's mercy

University
Industry thought and inviting

Abstruct

Search section on the two sections was talking about her :
The life of an Islamic thinker, he grew up in a decent scientific family. Scientific and intellectual journey through his life to seek knowledge and his journey to Hajj Scientific and intellectual production through his lessons , which was given by his disciples who Ttelmzu it Associations set up by the newspapers and printing presses , especially

the Association of Muslim Scholars Intellectual and practical and educational role played by the people to awaken from Gfelth Themes highlighted by his call and his speeches and sermons

The sources , which has devoted his time and effort in a statement its importance and role in the revival of the people

ملخص

قسم البحث على مبحثين كان الحديث فيهما عن:حياة مفكر إسلامي نشأ وترعرع في أسرة علمية كريمة.سيرته العلمية والفكرية عبر سفره لطلب العلم ورحلته إلى الحج النتاج العلمي والفكري عبر دروسه التي كان يلقيها وتلاميذه الذين تتلمذوا عليه الجمعيات التي أنشأها والجرائد والمطابع وعلى رأسها جمعية العلماء المسلمين الدور الفكري والعملي والتربوي الذي قام به لإيقاظ الشعب من غفلته المحاور التي ركز عليها في دعوته وخطبه ومواعظه المصادر التي كرّس وقته وجهده في بيان أهميتها ودورها في إحياء الناس.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

ففي تاريخنا العظيم نماذج عظيمة خاضت تجارب كبيرة في الدعوة إلى الله كانت وما زالت تلك التجارب نبراسًا يستنير بها الدعاة إلى الله ومن بين تلك الشخصيات الربانية شخصية فذة في خصائصها ووظيفتها المتعددة الجوانب والأبعاد، والمتفردة في دورها الحضاري والثقافي، ذلك العالم هو المفكر والمصلح الرباني الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله.

فنجد الشيخ رحمه الله تعالى قد اختط لنفسه طريقًا يسير عليه في دعوته وإصلاحه لشعب الجزائر، كان هذا الطريق هو ترسيخ جانب التوحيد في قلوب المسلمين والرجوع بهم إلى النبعين الصافيين: الكتاب العزيز والسنة المطهرة أولاً، والجهاد لطرد الفرنسيين من أرض الجزائر، وتعبيدها لرب العالمين.

وما أشبه اليوم بالبارحة، والغرب بالشرق، والشعب الجزائري بالشعب العراقي، وكما يقال التاريخ يعيد نفسه، ونحن إذ نريد يقظة إيمانية لشعبنا فلننظر إلى الشعب الجزائري كيف استيقظ وما أيقظه ومن أيقظه، فسنجد بغيتنا في تجربة غيرنا.

من أجل هذا كانت رغبتي في كتابة بحثي هذا والذي بعنوان: **(الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله وفكره الإصلاحي)** لما وجدت من الشبه الكبير بين الواقع الذي عاشه الشيخ رحمه الله والواقع الذي نعيشه، من حيث الاحتلال الفكري والسياسي والاقتصادي، إذ كانت الجزائر آنذاك ترزخ تحت الاحتلال الفرنسي، ومن جانب آخر واقع الشعب الجزائري إذ كان منهمكًا على الدنيا ساعيًا وراء ملذاتها، وأما ما يخص أغلب علماء زمانه فلم يكونوا بالمستوى المرجو والمأمول.

راجيًا أن نأخذ الدروس والعبر من فكر هذا العالم الرباني ومنهجه الإصلاحي، فيكون بلسمًا شافيًا لبني وطني ينير لهم طريق حياتهم.

وجاءت خطة البحث على مبحثين:

المبحث الأول: ترجمة حياة الشيخ ابن باديس رحمه الله وكان على مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: مرحلة الصبا والشباب.

المطلب الثاني: مرحلة البناء العلمي والفكري.

المطلب الثالث: مرحلة العطاء والإصلاح.

المبحث الثاني: فكر ابن باديس الإصلاحي وكان على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فكر ابن باديس في الإصلاح.

المطلب الثاني: محاور منهجه الإصلاحي.

المطلب الثالث: مصادر استمداد فكره.

ثم جاءت الخاتمة وذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

المبحث الأول
مراحل حياة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله

لقد مرّت حياته بمراحل وأطوار رئيسة أستطيع حصرها في ثلاث، هي:

مرحلة الصبا والشباب وتبدأ منذ ولادته عام ١٨٨٩م، وتنتهي عام ١٩٠٨م، ومرحلة البناء العلمي والفكري وتبدأ منذ نهاية المرحلة الأولى وتنتهي عام ١٩١٣م، ومرحلة العطاء والإصلاح وتبدأ منذ نهاية المرحلة الثانية، وتنتهي بانتقاله إلى الرفيق الأعلى عام ١٩٤٠م. ولا يعني هذا أن المرحلة الأولى لم يطلب فيها العلم، أو أن المرحلة الثانية لم يكن فيها عطاء وإصلاح، أو أن المرحلة الثالثة لا يوجد فيها استزادة من العلم، بل يعني أن السمة البارزة في هذه المدة الزمنية هي ما ذكرت، وفيما يأتي بيان ذلك:

المطلب الأول: مرحلة الصبا والشباب:

امتدت هذه المرحلة منذ ولادته عام ١٨٨٩م وإلى ١٩٠٨م عند سفره إلى تونس[١].

ولد الشيخ عبد الحميد بن باديس في ١٠ ربيع الثاني ١٣٠٨ه الموافق ١٨٨٩/١٢/٤م بمدينة قسنطينة[٢] وهو بكر والديه[٣]، فوالده يسمى محمد مصطفى بن مكي بن باديس، كان رجلاً محترمًا صاحب مكانة مرموقة، وذا أخلاق ومركز مالي وسياسي، عُرف بدفاعه عن مطالب السكان المسلمين بقسنطينة، وكان حافظًا للقرآن، وأمه تسمى زُهيرة بنت علي بن جلول، وكانت لا تقل تديناً عن زوجها، وكانت أغلى أمنية عندها أن يصير ولدها عالمًا من علماء المسلمين، تزوج مبكرًا في سنة ١٩٠٤م وأنجب ولدًا أسماه إسماعيل ثم ما لبث أن توفي وهو ابن سبعة عشر عامًا[٤].

وقد قُدّر لابن باديس أن يولد لأسرة مشهورة بالعلم والثراء والجاه وينشأ في أحضانها، إذ اجتمع من هذه الأسرة أربعون عمامة في وقت واحد في التدريس والإفتاء والوظائف الدينية، وتكاد تكون وظيفة القضاء في قسنطينة قاصرة على علماء هذه الأسرة زمناً طويلاً،فأصولها ترجع إلى المعز بن باديس الصنهاجي مؤسس الدولة الصنهاجية[٥].

وكان والده بارًابه فحرص على أن يربيه تربية إسلامية خاصة، فبدل أن يدخله والده إلى المدارس الفرنسية – التي كانت أمنية كثير من وجهاء الناس – عهد به إلى أشهر مقرئي قسنطينة الشيخ محمد المداسي ليعلمه القرآن الكريم والذي يُعدّ أول معلم له، فأولاه هذا الشيخ عناية فائقة، ورعاه رعاية تامة حتى حفظ القرآن وسنُّه لمّا تتجاوز الثالثة عشر، ومن شدة إعجاب شيخه به قدّمه ليصلي بالناس التراويح ثلاث سنوات متتابعة في الجامع الكبير[٦].

ثم لم يكتفِ والده بحفظ ولده كتاب الله تعالى بل كان طامحًا بأكثر من ذلك، فدفعه إلى المربي الكبير والعالم الجليل الشيخ حمدان الونيسي، فتلقى عنه العربية والعلوم الإسلامية ومكارم الأخلاق، وقد استطاع هذا الشيخ العارف أن ينفذ إلى نفسية تلميذه، فيطبع حياته العلمية بطابع روحي وأخلاقي لم يفارقه طول حياته، فيصف تأثير شيخه به بأنه تجاوز به حد التعليم المعهود إلى التربية والتثقيف والأخذ باليد إلى الغايات المثلى في الحياة[٧]. واستمر بتلقي العلوم من مشايخ قسنطينة حتى نال إعجاب أساتذته بما كان يحمل من خلق جمٍّ، وسيرة طيبة، وحب لطلب العلم[٨].

وكان ابن باديس عارفًا بفضل والده في هذا كله فقال: (والدي الذي ربّاني تربية صالحة، ووجّهني وجهة صالحة، ورضي لي العلم طريقًا أتّبعه، ومشربًا أرِده، وقانتني وأعاشني)[٩]، ويقول هو عن نشأته رحمه الله: (كانت إسلامية بفضل انتماء بيتنا إلى بيوتات أخرى في المدينة معروفة بتمسكها بالدين والمحافظة على القيام بشعائره وحرصًا على تنشئة أبنائها على أساس تربية إسلامية وتقاليد أصيلة، وكان الفضل في تكويني الأول لهذه التربية، فقد كونت فيَّ استعدادًا خاصًا لطلب العلم)[١٠].

وهكذا كانت هذه المرحلة الأولى من حياة ابن باديس والتي امتدت تسع عشرة سنة، قضاها وسط أسرته وبيئته، وحفظ فيها القرآن فملك بذلك ناصية البيان، والذي كان له بالغ الأثر في تكوين شخصيّته وصياغتها، لينتقل بعد ذلك إلى إمامة المصلين في صلاة حاشدة للتراويح وفي مسجد كبير، بالرغم من صغر سنه نسبيًّا، ثم رضع لبان الثقافة الإسلامية وأخلاقها، وعلوم اللغة العربية وبيانها، ليبني بذلك قاعدة عريضة تؤهله لاستكمال الشروط العلمية والمعرفية، والتي تؤهله بدورها لأن يكون رجلاً يحمل هموم أمة ويعيش مأساة شعب محتل، ليكون أملاً في إصلاحه وخلاصه من معاناته.

المطلب الثاني: مرحلة البناء العلمي والفكري

وتبدأ هذه المرحلة من سفره إلى الزيتونة في تونس عام ١٩٠٨م، ثم عودته إلى الجزائر عام ١٩١٢م مرورًا بخروجه منها مرة أخرى إلى الحج وزيارته إلى بعض دول المشرق العربي ورجوعه عام ١٩١٣م[١١].

إذ هذا هو شأن العلماء، فقد دأبوا على الارتحال بين البلدان لطلب العلم، فلم يقفوا على علماء بلدهم بل يطوفون البلاد الكثيرة ليأخذوا عن شيوخها وأعيانها ويتلقوا العلم عنهم، فيشاهدوا أحوال الشعوب وتقاليدهم وعاداتهم، مما يؤدي إلى كثرة الاطّلاع ووفرة الثقافة.

والشيخ ابن باديس لم يكن بعيدًا عن هذه السنة الحميدة، فبعد أن نهل العلم من شيوخه في الجزائر الذين أبصر العلم عن طريقهم، وبعد أن أحسن أنه استوعب كثيرًا مما جاد به أستاذه الشيخ الونيسي، لاسيما وأن شيخه قد عزم على الهجرة من الجزائر، ثم إنه وجد الدافع الكبير من والده للرحلة إلى خارج بلده للاستزادة من العلم والخبرة والثقافة، نجد أن لابن باديس رحلتين اثنتين قد أثّرتا فيه تأثيرًا كبيرًا، وهاتان الرحلتان هما:

١. رحلته إلى تونس:

سافر ابن باديس إلى تونس سنة ١٩٠٨م وانتسب إلى جامع الزيتونة[١٢]، ودافعه في ذلك الاستزادة علميًّا وفكريًّا وثقافيًّا من هذه المؤسسة العريقة، وعُرف في دراسته بالجد والنشاط، فأخذ يتلقى الثقافة الإسلامية والعربية عن جماعة من أكابر علماء الزيتونة الذين كان لهم بالغ الأثر في تكوينه الفكري واتجاهه الإصلاحي، أذكر منهم أكثرهم تأثيرًا عليه[١٣]:

أولاً: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: وقد لازمه مدة بقائه في تونس وهي ثلاث سنوات ودرس على يديه الأدب العربي وتأثر به تأثرًا خاصًّا وقد بين ذلك بقوله: (وإن أنسَ فلا أنسى دروسًا قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور، وكانت من أول ما قرأت عليه فقد حبّبني في الأدب والتفقّه في كلام العرب، وبثّت فيَّ روحًا جديدًا في فهم المنظوم والمنثور، وأحيت منّي الشعور بعزّة العروبة والاعتزاز بها كما أعتزّ بالإسلام)[١٤].

ثانيًا: الشيخ محمد النخلي القيرواني: أفاد منه ابن باديس الناحية العلمية؛ إذ كان السبب في فهمه للقرآن على الطريقة التي سلكها ابن باديس في تفسيره لكتاب الله تعالى، وفهمه هو الذي مكّنه من الدعوة والإصلاح، فكأنّ الشيخ هو الذي خطّ لابن باديس طريق الدعوة كلها.

ويذكر ابن باديس تلك الفائدة الجليلة التي فتحت طريق الدعوة إليه فيقول: (كنت متبرّمًا بأساليب المفسرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهم المذهبية في كتاب الله، فذاكرت يومًا الشيخ النخلي فيما أجده في نفسي من التبرّم والقلق فقال لي: اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقّدة وهذه الأقوال المختلفة وهذه الآراء المضطربة، يسقط الساقط ويبقى الصحيح وتستريح. فوالله لقد فتح بهذه الكلمة القليلة عن ذهني آفاقًا واسعة لا عهد له بها)[١٥].

ثالثًا: الشيخ بشير صفر: وهو أحد زعماء تونس الإصلاحيين بدأ دراسته في الصادقية ثم التحق بفرنسا فأكملها، ورجع إلى تونس لكنه لم يتأثر بالفكر الغربي كما هو حال الأغلب فيمن هاجروا إلى أوربا للدراسة بل بقي محافظًا على دينه وقوميّته بل ازداد حماسًا في الدفاع عن الدين واللغة والحضارة الإسلامية، ويعدّ من القلائل الذين جمعوا بين التعليم العربي والتعليم

الغربي، مع إتقانه للغات عدّة.من أجل هذا فهو يعدّ من أشهر أساتذة التاريخ العربي والإسلامي، وفيه يقول ابن باديس: (وأنا شخصيًّا أصرّح بأنّ كراريس الشيخ بشير صفر الصغيرة الحجم الغزيرة العلم هي التي كان لها الفضل في اطّلاعي على تاريخ أمّتي وقومي، والتي زرعت في صدري هذه الروح التي انتهت بي اليوم لأن أكون جنديًّا من جنود الجزائر)[١٦].

وبعد مدة الدراسة التي امتدت ما بين ١٩٠٨-١٩١١م، وتخرجه ونيله لشهادة التطويع بتفوق، إذ كان ترتيبه الأول على أقرانه، كما كان الجزائري الوحيد في تلك الدورة تفرغ للتدريس بالجامع مدة سنة تبعًا للتقاليد المتوارثة بين الخريجين، والقاضية بتطوع الطالب المتخرج حديثًا للقيام بإعطاء دروس لمدة سنة أو أكثر للصفوف الدنيا، تمكنه من اكتساب ذخيرة تربوية تتيح له فرصة أداء بعض الواجب نحو معهده[١٧].

وفي سنته الأخيرة هذه التي قضاها أستاذًا ومعلّمًا بالجامع توثّقت صلته العلمية بأساتذته لاسيما أستاذيه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور والشيخ محمد النخلي اللذين يعدّان زعيمي النهضة الفكرية والعلمية والإصلاحية في الحاضرة التونسية؛ لأنهما كانا من أنصار أفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده الإصلاحية وكان اتصاله هذا قويًّا وعميقًا ومؤثّرًا[١٨].

وطبعت هذه الرحلة المباركة إلى الزيتونة في مخيّلته كثيرًا من الذكريات لم يكن لينساها، وعدّها منعطفًا مهمًّا في حياته التكوينية العلمية والفكرية حيث يقول عنها: (ما كنت لأنسى أربع سنوات قضيتها بالزيتونة، شطرها متعلّمًا، وشطرها متعلّمًا ومعلّمًا، فكان لي منها آباء وإخوة وأبناء، فأكرم بهم من آباء، وأكرم بهم من إخوة، وأكرم بهم من أبناء)[١٩].

ولما عاد من تونس وكان قد أفاد علمًا وتجربة إفادةً واسعة ظهرت نتائجها وآثارها بعد رجوعه من تونس ومباشرته العمل الإصلاحي وذلك لأن (الوسط الاجتماعي الزيتوني هو الذي كان له الفضل في تكوينه السياسي، بما طالع في الصحافة والمجلات من مقالات سياسية وإخبارية وتحليلية)[٢٠].

ثم قفل راجعًا إلى بلده وهو شعلة من الحماسة فقصد الجامع الكبير الذي أمّ الناس فيه في صلاة التراويح، وأخذ بإلقاء الدروس وابتدأ بتدريس كتاب الشافي للقاضي عياض، لكن تدريسه لم يستمرّ طويلاً إذ سرعان ما أخذ المغرضون وأعداؤه يحيكون له المكائد وبإيعاز من الإدارة الاستعمارية فأطفأوا عليه الضوء أثناء الدرس[٢١].

ثم انتقل إلى الجامع الأخضر وأخذ يعطي دروسه للكبار كل مساء، وفي مسجد كمّوش للصغار خلال النهار، وبعد بقائه على هذا الحال لمدة ليست بالطويلة قرر السفر للحج وللقاء

شيخه حمدان الونيسي، وهناك من يرى أن العلّة من سفره هو القيام برحلة طويلة إلى بيت الله الحرام، وزيارة أقطار المشرق العربي[٢٢].

٢. رحلته إلى الحج:

وبعد عودته إلى تونس كان ارتحاله نحو المشرق أي عام ١٩١٣م وعمره آنذاك أربع وعشرون سنة، وكانت هذه الرحلة قد فتحت له أبوابًا أخرى من العلم واللقاء بثلة كريمة من العلماء والمفكرين من مختلف أنحاء العالم، إذ أنّه زار أكثر من بلد عربي في طريق ذهابه وإيابه.

فحينما وصل إلى أرض الحجاز كان مستقره هناك بالمدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام والتي كانت آنذاك مقصد العلماء وطلبة العلم من جميع البلدان فالتقى بشيخه بعد فراق ما يقارب خمس سنوات، كما التقى بشيوخ وعلماء آخرين، منهم على الخصوص الشيخ حسين أحمد الهندي[٢٣]، فمكث بالمدينة المنورة ثلاثة أشهر قضاها متعرّفًا إلى العلماء مجالسًا لهم حتى أنه (قام بإلقاء درس في الحرم النبوي على مشهد كثير من المسلمين وبحضور شيخه الونيسي)[٢٤].

ومن أهم تدابير القدر الإلهية التي حصلت للشيخ في المدينة المنورة التقاؤه بأخيه في الجهاد – فيما بعد – الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الذي كان لهذا اللقاء ما بعده من آثار طيبة في الجزائر وعليها، إذ كانا يجتمعان كل ليلة وعلى مدار الثلاثة أشهر من بعد صلاة العشاء إلى أن يؤذن لصلاة الصبح، وهما يتناقشان ويتدارسان أوضاع الجزائر، وما يجب عمله لإنقاذها من الاحتلال الفرنسي[٢٥].

ويؤكد الشيخ الإبراهيمي على أهمية تلك اللقاءات في أنها كانت الأرضية التي انبنت عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتحددت على ضوئها ماهيتها وطبيعتها فيقول: (وأشهد الله على أن تلك الليالي من سنة ١٩١٣م هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي لم تبرز إلى الوجود إلا في سنة ١٩٣١م)[٢٦].

وبعد انقضاء موسم الحج استشار الشيخ ابن باديس الشيخ الونيسي والشيخ الهندي في أمر بقائه أو رجوعه إلى الجزائر، فأشار عليه الأول بالإقامة معه في المدينة المنورة ورغّبه وألحّ عليه، وأشار الثاني بعكس وصيّة شيخه بأن يرجع إلى الجزائر ليباشر فيها الدعوة والإصلاح والجهاد.

ويذكر الإمام وصيّتَي هذين الشيخين فيقول: (أذكر أني لمّا زرت المدينة واتصلت فيها

بشيخي الأستاذ حمدان الونيسي المهاجر الجزائري، وشيخي حسين الهندي، أشار عليّ الأول بالهجرة إلى المدينة المنورة وقطع كل علاقة لي بالوطن، وأشار عليّ الثاني – وكان عالمًا حكيمًا – بالعودة إلى الوطن، وخدمة الإسلام فيه والعربية بقدر الجهد، فحقق الله رأي الشيخ الثاني ورجعنا إلى الوطن بقصد خدمته)[٢٧].

قفل ابن باديس راجعًا إلى الجزائر، وفي طريق عودته مرّ بكلٍّ من سوريا ولبنان وفلسطين واجتمع برجال الفكر والعلم والأدب فيها ورأى ما كان يجري في هذه البلاد، كما مرّ بمصر وزار الأزهر الشريف، واغتنم فرصة وجوده في مصر ليزور الشيخ محمد بخيت المطيعي في منزله بحلوان، وأخبره أن شيخه الونيسي هو الذي أرسله إليه فأجابه الشيخ بخيت عن الشيخ الونيسي (ذاك رجل عظيم)، ثم كتب له إجازة في دفتر إجازات ابن باديس بخط يده[٢٨].

وبعد نهاية هذه المرحلة لاسيما رحلته إلى المشرق التي كان فيها الكثير من الثمار الإيمانية والنفسية والفكرية، فكانت بحق حافلة بالمشاهد والمواقف واللقاءات، فقد أطْلَعَتْه على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية، وفيها خَبرَ أحوال الناس، مما وسّع أفقه وبصّره بطريق الخلاص والثورة الفكرية، عاد إلى الجزائر، عازمًا على الإصلاح وفق منهج إسلامي، تكوّنت أبعاده في ذهنه من مجموعة من المؤثرات، بعضها نتج عن الواقع، والبعض الآخر عن الثقافة التي تشبّع بها، وكان البعض منها عن الروح الإسلامية الجديدة، التي أشاعها المصلحون في ذلك الوقت سواء في الحجاز أم في شمال أفريقيا[٢٩].

تلاميذه:

لم أجد فيما بين يدي من كتب من ذكر تلاميذه سوى أبي عبد الرحمن محمود في مقدمته على تفسير ابن باديس إذ يقول: (وهم كثيرون، من أبرزهم العلامة الشيخ مبارك الميلي، والشيخ الفضيل الورثلاني، وموسى الأحمدي، والهادي السنوسي، وباعزيز بن عمر، ومحمد الصالح بن عتيق، ومحمد الصالح رمضان، وغيرهم)[٣٠].

المطلب الثالث: مرحلة العطاء والإصلاح

وتبدأ هذه المرحلة بعد عودته من رحلته إلى الحج ودول المشرق العربي عام ١٩١٣م، وتنتهي بوفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى عام ١٩٤٠م رحمه الله رحمة واسعة[٣١].

إمكاناته:

يكاد يجمع كل من كتب عن ابن باديس بأنه قد امتلك من المؤهلات العلمية والأدبية والفقهية والحديثية وغيرها الشيء الكبير، ففي مجال الفقه والتأليف فهو (كاتب ممتع مهّذب في كتاباته، وهو أيضًا فقيه من الطراز الأول، خبير بمذهب مالك، متفقّه على غيره من أصحاب المذاهب، يمقت التعصب لمذهب معيّن، وله فتاوى عظيمة تحس منها أنه إهاب مُلِئ علمًا منظمًا)[٣٢].

وفي مجال التفسير فهو (مفسر ممتاز له استقلاليته في الفهم والرأي، يقرأ التفاسير، ثم يجعل من عقله مصفاة لها، فلا يُخرج منها إلا ما صحّ ونفع، ولاءم العصر وصدق الخبر، مع حسن عرض واستنباط واع)[٣٣]. ولعل ما يشهد له في هذا وهو من أبرز أعماله ختمه لتفسير القرآن الكريم بمحاضرات كان يلقيها على تلاميذه في الجامع الأخضر حيث استمر هذا الدرس خمسًا وعشرين سنة حتى أتمّه عام ١٩٣٨م في احتفال مهيب بدأ في مدينة قسنطينة وانتهى في كل مدن الجزائر[٣٤].

وفي مجال الأدب واللغة هو (متحدّث بصير، وأديب ذوّاق، يعشق الأدبين القديم والحديث وينقدهما، ويعطي لطلابه وزائريه زبدة ما قرأ، ويوازن بين شعر وشعر، وينشر المُلَح والطرائف، وله باب في الشهاب بعنوان من أحسن القصص، جمع فيه بين كل طريف ظريف)[٣٥].

وفي مجال التربية والتعليم فقد وضع يده على جرح أمته التي كانت تشكو من الجهل والتشرذم فهو معلّم ومربٍّ من الطراز الأول.

آثاره العلمية:

على مدار التاريخ يكون الاستعمار الذي هو في الحقيقة استخراب عائقًا أمام العلم والحضارة والبناء والتقدم على جميع الأصعدة، ومن هنا ضاعت بعض آثار ابن باديس فقد (كان الاستعمار يحرق كل مجلة يعثر عليها إبان الثورة، أو كتابات عربية، ومن ثم فقد ضاعت كتابات كثيرة لابن باديس، غير أن الغيورين والمحبين دفن بعض هذه المجلات في التراب، وبعد سبع سنوات ونصف كشف عنها، فبقي البعض، وأكلت الأرضة والأتربة والطين البعض الآخر)[٣٦].ولم يصل منها سوى:

١. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير المعروف بتفسير ابن باديس.
٢. مجالس التذكير من كلام البشير النذير ﷺ أو من هدي النبوّة.
٣. رجال السلف ونساؤه.

٤. الدرر الغالية في آداب الدعوة.
٥. القصص الهادف.
٦. العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.
٧. مبادئ الأصول.
٨. رسالة جواب سؤال عن سوء مقال.
٩. تحقيق وتقديم العواصم من القواصم.
١٠. تحفة المستهدي في إثبات خروج المهدي.
١١. التأفين لمنكر التأبين.

ثناء العلماء عليه:

لقد كان ابن باديس رحمه الله عالمًا عاملًا بحق، وقد أثنى عليه من أهل زمانه من عاصره من شيوخه وتلاميذه على حد سواء، وممن أثنى عليه:

١. الشيخ محمد الطاهر بن عاشور:

(إن فضل النهضة الجزائرية على العالم الإسلامي فضل عظيم، وإن أثر الشيخ عبد الحميد بن باديس في تلك النهضة أثر إنساني رئيس، ...، وما تكريمنا للشيخ عبد الحميد بن باديس إلا تكريم للفكرة العبقرية، والنزعة الإصلاحية الفلسفية، التي دفعت به فريدًا إلى موقف إحياء التعاليم الإسلامية، في وطن أوشكت شمس الإسلام أن تتقلّص في ربوعه، بعد ثمانين عامًا قضاها في أغلال الأسر)[٣٧].

٢. الأستاذ الشاعر محمد العيد آل خليفة:

يراعك في التحرير أمضى من الظبى ... وأقضى من الأحكام أيان يُشهرُ
ودرسك في التفسير أشهى من الجنى ... وأبهى من الروض النضير وأبهرُ
ختمتَ كتاب الله ختمة دارسٍ ... بصيرٍ له حلُّ العويص ميسّرُ
فكم لك في القرآن فهمٌ موفّقٌ ... وكم لك في القرآن قولٌ محرّرٌ
قبستَ من القرآن مشعلَ حكمةٍ ... يُنار به السرُّ اللطيف ويُبصَرُ
وبيَّنتَ بالقرآن فضل حضارةٍ ... أقرَّ لها كسرى وأذعنَ قيصرُ[٣٨]

٣. محمد البشير الإبراهيمي:(كان للأخ الصديق عبد الحميد بن باديس رحمه الله ذوق خاص في فهم القرآن كأنه حاسّة زائدة خُصّ بها، يرفده – بعد الذكاء المشرق، والقريحة الوقّادة،

والبصيرة النافذة – بيان ناصع، واطّلاع واسع، وذرع فسيح في العلوم النفسية والكونية، وباعٌ مديد في علم الاجتماع، ورأي سديد في عوارضه وأمراضه، يمد ذلك كلّه شجاعة في الرأي، وشجاعة في القول، لم يرزقهما إلا الأفذاذ المعدودون من البشر)[٣٩].

٤. الشيخ الطيّب العقبي: قال في حق الشيخ ابن باديس: (المصلح الفذّ، والعلاّمة الذي ما أنجبت الجزائر – منذ أحقاب – مثله إلاّ قليلاً)[٤٠].

٥. المفكر مالك بن نبي:(لقد كان ابن باديس مناظرًا مُفحمًا، ومربّيًا بنّاءً، ومؤمنًا متحمّسًا، وصوفيًّا والهًا، ومجتهدًا يرجع إلى أصول الإيمان المذهبية، ويفكر في التوفيق بين هذه الأصول توفيقًا عزب عن الأنظار، ...، وفوق كلّ هذا كان ابن باديس مصلحًا اقترن اسمه وأثره بتاريخ هذا البلد)[٤١].

وفاته رحمه الله:

عاش الشيخ قبل وفاته أيامًا عصيبة فقد فرضت عليه الإدارة الاستعمارية في مدينة قسنطينة إقامة محدّدة ليس له أن يبرحها إلى غيرها من نواحي البلاد مما جعل وفاته غير طبيعية، ففي هذه الظروف الصعبة أصيب بداء السرطان في الأمعاء[٤٢]، ثم وافاه الأجل مساء الثلاثاء ٨ ربيع الأول ١٣٥٩ه الموافق ١٩٤٠/٤/١٦م[٤٣]، وشيعت جنازته في موكب جنائزي ويوم مشهود، ودفن في روضة أسرته آل باديس بحي الشهداء قرب مقبرة قسنطينة[٤٤].

وقد رثاه الشاعر محمد العيد آل خليفة بقصيدة ارتجلها عندما وقف لأوّل مرّة على قبره، نقشت فيما بعد على رخامة، وعلّقت على ضريحه، ومما جاء فيها:

يا قبر طبت وطاب فيك عبير ... هل أنت بالضيف العزيز خبيرُ
هذا ابن باديس الإمام المرتضى ... عبد الحميد إلى حماك يصيرُ
العالم الفذ الذي لعلومه ... صِيتٌ بأطراف البلاد كبيرُ
بعث الجزائر بعد طول سباتها ... فالشعب فيها بالحياة بصيرُ
إلى أن يقول :
نم هانئًا فالشعب بعدك راشد ... يختط نهجك في الهدى ويسيرُ
لا تخشى ضيعة ما تركت لنا سدى ... فالوارثون لما تركت كثيرُ[٤٥]

وحقيقة كان كذلك الإمام عبد الحميد بن باديس طوال مدة حياته وجهاده، عاش من أجل أمّة، وبعثها إلى الوجود، لتحيى حياة حرّة كريمة.

المبحث الثاني
فكر الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله الإصلاحي

تمهيد:

لكي ندرك أبعاد الجهود العظيمة التي بذلها ابن باديس من أجل تحرير شعبه ووطنه من قيد الاحتلال الفرنسي، والتي أثمرت الحرية للشعب والاستقلال للبلد، لابد من التعرف على أحوال الجزائر في ظل هذا الاحتلال، وتسليط الضوء على جرائمه التي ارتكبها من أجل أهدافه التوسعية في بلاد العرب والمسلمين.

فقد كانت الجزائر أول أقطار العالم العربي وقوعًا تحت براثن الاحتلال، وقُدّر أن يكون مغتصبها الفرنسي من أقسى المحتلين سلوكًا واتجاهًا، حيث استهدف طمس هوية الجزائر العربية الإسلامية، ودمجها باعتبارها جزءًا من فرنسا، ولم يترك وسيلة تمكنه من تحقيق هذا الغرض إلا اتبعها، فتعددت وسائله في ذلك على محاور عدة أذكر أهمّها بشكل موجز:

أولاً) محور الهوية العربية: فكان هدفه إزالة أمة من الوجود بمحو هويتها ومقومات شخصيتها والقضاء على اللغة العربية وإماتتها، وكان يمنع فتح أي مدرسة تعلم اللغة العربية، إذ أصدر وزير المعارف الفرنسي أمرًا يقضي بِعَدّ اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، ويمنع تعليمها في المدارس وحتى في البيوت، لدرجة أن وجود سبورة في البيت تعدّ جريمة يغرم ويسجن أو ينفى من وجدت بحوزته؛ لأن وجودها يؤدي إلى انتشار الوعي الفكري الوطني في عموم الأسرة ثم القرية ثم المنطقة بأسرها(٤٦).

ثانيًا) محور القضاء الإسلامي: فعمدوا إلى حصر القضاء الإسلامي بالأحوال الشخصية والإرث، أما قضايا الدعاوى الجنائية والمدنية والتجارية فجعلوه من اختصاص المحاكم المدنية الفرنسية، ولم يكتفوا بحصر القضايا القضائية، بل تعدى الأمر إلى تقليص عدد المحاكم الإسلامية من ١٨٤ محكمة إسلامية إلى ٦١ محكمة فقط سنة ١٨٩٠م، وسعت كذلك إلى استبدال الحكم بالعرف والعادات بمنطقة القبائل بدل الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية، وكانت الضربة القاضية على القضاء الإسلامي بإسناده إلى عملاء لها عديمي الثقافة والمعرفة، بل وحتى الأخلاق الحسنة(٤٧).

ثالثًا) محور الجانب الأخلاقي: فقد قام المستعمر بكل ما أوتي من قوة ومكر إلى إشاعة الرذيلة وانتشار الفاحشة، فهو يمنح الجزائريين بسخاء رخص فتح المقاهي بشرط (أن يكون المقهى ميدانًا لكل ما يخالف الأخلاق من قمار، ولكل عمل مشبوه فيه، وإلا فإنه يُغلق بأمر من

السلطات الاستعمارية عند أول فرصة)[٤٨]. وكذلك يشجع فتح بيوت الدعارة وممارسة البغاء ويصدر قوانين تبيح ذلك وتحفظه من أي رد فعل اجتماعي، ومن هذه القوانين أنه يحق (للمسلمة أن تتخذ بيتًا للبغاء أمام بيت أهلها وذويها، ولا يقدر أحد أن يُغير عليها، ومن مسّها بسوء يعد جانيًا، ويحاكم أمام المجالس العدلية ويحكم عليه؛ لأنه اعتداء على الحرية الفردية)[٤٩].

رابعًا) محور الاقتصاد: إذ قام الاحتلال باغتصاب أجود الأراضي وأخصبها، وكان هذا يمثّل أهم أولويات السياسة الفرنسية. وبالفعل فقد استولت الإدارة الاستعمارية فيما بين ١٨٨٧م و١٨٨٩م على ٩٥٧ هكتارًا بصفة مجانية، كانت ملكًا لأكثر من ٢٢٤ قبيلة، وتم تسليم ١٢٠٠٩٧ هكتارًا إلى المهاجرين الأوربيين فيما بين ١٨٩١م و ١٩٠٠م واستمر الأمر ليصل مجموع ما اغتصبوه من الأراضي ٢٤٦٢٥٣٧ هكتارًا في عام ١٩٣٤م[٥٠]. ولم تنجُ أراضي الأوقاف الإسلامية وحتى المساجد، إذ (لم يبقَ بالعاصمة وحدها سوى أربعة مساجد من بين ١٦٠ مسجدًا وزاوية[٥١]، حولت كلها إلى كنائس ومراكز للشرطة، واصطبلات لخيول الحرس المتجول)[٥٢].

خامسًا) محور الدين الإسلامي: وهو الأهم والأخطر، فقد سعى الاحتلال للقضاء على الدين الإسلامي، إذ كان الهدف الأسمى والغاية العظمى اللذان كانا واضحين في تصريحات كبار مسؤوليهم، فقد صرّح وزير الخارجية آنذاك قائلاً: (إنني لن أترك الهلال ينتصر على الصليب)[٥٣]. ويقول آخر في احتفال بمناسبة مرور مائة عام على احتلال الجزائر: (إن احتفالنا اليوم ليس احتفالاً بمرور مائة سنة على احتلالنا الجزائر، ولكنه احتفال بتشييع جنازة الإسلام)[٥٤].

ومن أساليبهم في هذا المجال استغلال بعض ممن يدّ[٥٥]عون الانتساب إلى التصوف، واستخدامهم في تحقيق مصالحهم، لعلمهم بحقيقة دور الإسلام في استنهاض همم أتباعه إذا بقي نقيًّا صافيًا يؤخذ عن العلماء العدول من غير أن يُشوَّه بتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، واستغلت الإدارة الاستعمارية في هذا سذاجة عقلية عامة الناس وسطحية معرفتهم وجهلهم بالإسلام.

فكانوا من هذا الجانب يعمدون إلى نصب حيل وصنع مكائد لتخديرهم وشلّهم والتي منها (حرق أكوام قمحٍ أوربيٍّ مستعمر، رفض أن يُعير أدواته ليحصد بها قمح سيدي المرابط الفلاني، وكان المعلق يقول: أترى أية كرامة لسيدي فلان؟ فالمستعمر الذي رفض أن يعيره أدواته قد احترق موسمه)[٥٦].

والمستعمر لا يبالي باعتماد أي وسيلة أو أسلوب يدفع باتجاه عزل الناس عن النبع الصافي للإسلام، وتشويه التصوّف المنضبط، ليجمع الناس حول المنحرفين الذي يتكسبون ببعض الطرق، ومن العجيب في هذا أن بعض الجزائريين اكتشفوا في بعض المناطق الشرقية من الجزائر (أن ضريحًا من الأضرحة التي يؤمها الشعب ويتبرك بأعتابها كان قبرًا لراهب مسيحي، لم يصدق الشعب ذلك حتى عثروا على الصليب في القبر)[٥٧].وبعد هذا التمهيد عن أحوال الجزائر أشرع في بيان فكر الشيخ الإصلاحي في المطالب الآتية:

المطلب الأول: فكر ابن باديس في الإصلاح.

عرفنا في ما مضى الحالة التي كان يعانيها الشعب الجزائري من تدهور في جميع النواحي، العلمية، والاقتصادية، والسياسية، والدينية، ولكن الذي يجب معرفته أن الشعب ليس كله بهذا المستوى من الخنوع والذلة، فقد كانت المقاومة المسلّحة في الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي ثائرة قرابة نصف قرن، وقدّموا كثيرًا من التضحيات والشهداء، ثم سلك المقاومون الجانب السياسي بعد أن لاقى الجهاد المسلّح من الفرنسيين القسوة المفرطة، والبطش الشديد.فقد مرت مقاومة المحتل الفرنسي في ذلك الحين بمرحلتين مختلفتين:

الأولى: مرحلة المقاومة المسلحة: فقد استمر هذا المظهر ما بين ١٨٣٠م-١٨٧١م.

الثانية: مرحلة المقاومة السياسية: وكان بعد ١٨٧١م، وهو يشتمل على تيارات مختلفة من المطالبة ببعض الحقوق السياسية إلى التفكير في الاستقلال[٥٨].

وحينما رجع ابن باديس من رحلة الحج عام ١٩١٣م، قرر العمل لأجل تحرير الجزائر والحصول على الاستقلال الكامل، وكان عمره آنذاك أربعة وعشرون عامًا، وكان عمر الاحتلال الفرنسي ثلاثة وثمانون عامًا، فرأى أن الحل الوحيد لإخراج البلد من محنته هو الإصلاح الديني، ذلك لأنه رأى العمل الجهادي والحل السياسي قد وصلا إلى طريق مسدود.

فالجهاد الإسلامي كان الرد الفوري من قبل الأمير عبد القادر الجزائري فهو الذي كان يحمل رايته، إذ استمر بجهاده أكثر من نصف قرن، حتى إذا لم يتمكن من إخراج المحتل، انتقلت الراية إلى حفيده الأمير خالد فتحولت إلى العمل السياسي، وعندما وصل العمل السياسي إلى طريق مسدود أمام تعنّت الفرنسيين، ظهر الفكر الإصلاحي والذي حمل رايته الشيخ ابن باديس فحقّق بالتربية والتعليم ما لم يحققه المقاومون والسياسيون[٥٩].

فلقد كان ابن باديس بحق موفّقًا للإصلاح الإسلامي الجزائري وقائدًا موهوبًا للحركة

ومنظماتها، ونعمة من الله سيقت إلى شعب الجزائر المسلم العربي في محنته وشدائده، وقبسًا من نور الإسلام المبين أنار حوالك الظلمات، واستجابة واعية ملهمة للظروف القائمة في البلاد ومعالجة حكيمة لها بهدى الإسلام في إخلاص ورشد.

وسنتعرف فيما يأتي على أسباب اختياره المنهج الإصلاحي:

أسباب اختيار ابن باديس المنهج الإصلاحي:

هناك أسباب عدة جعلت ابن باديس يسلك الطريق الإصلاحي أوجزها فيما يأتي:

١. أيقانه أن السبب في التدهور الاجتماعي راجع إلى انفصال الإنسان المسلم عن الحقيقة القرآنية، ومعنى ذلك أن السبب ليس واحدًا، بل هو مجموعة عوامل وأسباب؛ لأن الحقيقة القرآنية حقيقة متكاملة تشمل الحياة الأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية(٦٠).

٢. إدراكه بأن الله تعالى لن يغير حال الشعب إلا إذا هم بدأوا التغيير وهذه سنة ربّانية مطّردة لا تتخلف كان ابن باديس يعمل من أجل تحقيقها، وكثيرًا ما كان يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (٦١)، فأراد أن يبدأ من داخل النفوس بالتغيير والإصلاح، وفي هذا المعنى يقول: (فصلاح النفس هو صلاح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجموع)(٦٢).

٣. الإصلاح هو طريق الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم الذين أُرسلوا إليهم، يقول محمد عبده: (الإنسان لا يكون إنسانًا حقيقيًّا إلا بالتربية، وليس هي إلا عبارة عن اتباع الأصول التي جاء بها الأنبياء والمرسلون)(٦٣)، وكانوا أول ما يبدأون به هو الإصلاح العقدي، الذي ينطلقون منه إلى إصلاح الخلل الموجود في أقوامهم وكلهم يبدأ بقوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ (٦٤).

٤. خَبَر تجربة عبد القادر الجزائري، والأمير خالد، في المجالين الجهادي والسياسي، وكيف أنهما وصلا إلى طريق مسدود أمام قسوة السلطات الفرنسية وتعنّتها، فضلًا عن تأثره بالحركة الإصلاحية للأفغاني ومحمد عبده، وتلميذه محمد رشيد رضا حيث سار على طريق الشيخ محمد عبده في التربية والتعليم والإصلاح الديني واللغوي(٦٥)، وكان يقول في حق رشيد رضا: (فهذه الحركة الدينية الإسلامية الكبرى في العالم إصلاحًا وهداية، بيانًا ودفاعًا كلها من آثاره)(٦٦).

٥. تشخيصه لحالة الشعب وإمكانية علاجها؛ إذ علم أن ما عليه أكثر المسلمين ليس عن زهد في الإسلام ولا عن قلة محبته، وإنما هو جهل طال عليه الأمد، وغفلة توالت على

الحقب، وللجهل دواؤه الشافي وهو العلم، وللغفلة علاجها النافع وهو التذكير(٦٧).

المطلب الثاني: محاور منهجه الإصلاحي:

لقد كان ابن باديس ومن معه من العلماء يسيرون على محاور ثلاثة يكمّل أحدها الآخر، فالمحور الأول هو العلمي: فكانوا يدعون إلى العلم ونشره عن طريق المدارس والمساجد والنوادي، والمحور الثاني هو الديني: فقد بذلوا جهودًا كبيرة في تعليم العقيدة والفقه واللغة العربية وغيرها، والمحور الثالث هو الثقافي: وهو يتمثل في تعميق الأخلاق الحميدة، ومحاربة الفساد، وكان الهدف منها رفع المستوى العلمي والديني والخلقي للشعب الجزائري(٦٨).

ولما كان للمؤسسات التعليمية من تأثير بالغ في بناء الفرد والمجتمع، فلقد أولاها ابن باديس اهتمامًا كبيرًا، ومن أهم الأعمال التي قام بها هو (تأسيس المدارس والمعاهد العلمية لتربية الأجيال الصاعدة وإعداد القادة للأمة. وتكوين المطابع لإحياء الثقافة الوطنية ونشرها بين الناس. وتأسيس الجرائد والمجلات للتكوين السياسي والايدلوجي للمواطنين. وتأسيس المساجد والنوادي للتربية الدينية والوطنية للشباب والرجال والنساء)(٦٩). وكان على رأسها تأسيس مدرسة جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة عام ١٩٣٠م، والذي كان اللبنة الأولى لهذا المشروع التربوي التعليمي مكتبًا للتعليم الابتدائي في مسجد سيدي بو معزة عام ١٩١٣م، الذي انتقل بدوره إلى بناية الجمعية الخيرية الإسلامية التي تأسست عام ١٩١٧م، وكان الهدف من تأسيس الجمعية نشر الأخلاق الفاضلة، والمعارف الدينية، والعربية، والصنائع اليدوية، بين أبناء المسلمين وبناتهم كما نص عليه قانون الجمعية(٧٠).

وسنجمل الحديث عن هذه المحاور الثلاثة بما يأتي:

أولاً) المحور العلمي:

كانت البرامج التعليمية والكتب والطرق التي اعتمدوها في مدارسهم تتسم بالتجديد ورفض الجمود والتقليد حيث لم يركزوا على التعليم الديني فقط بل نادوا بتعليم كل العلوم وجميع اللغات الحية وكان من ضمنها اللغة الفرنسية كونها السبيل إلى آداب الغرب وعلومه وفنونه، فهي مكملة لثقافة المسلم العربية(٧١).

المقصود بالعلم هنا هو كل علم نافع في جانب من جوانب الحياة؛ لذا نجد ابن باديس يحذر من كل متَعَيْلِم يُزهّد في أي علم من العلوم، فإن العلوم على اختلاف أنواعها أثمَرَتها العقول لخدمة الإنسانية، ودعا إليها القرآن الكريم بالآيات الصريحة(٧٢).

وهكذا فقد آمن ابن باديس بأن العمل الأول لمقاومة الاحتلال الفرنسي هو التربية والتعليم، وهي الدعوة التي حمل لواءها الشيخ محمد عبده، في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وأذاعها في تونس والجزائر عند زيارته لهما سنة ١٩٠٣م، فعمل ابن باديس على التركيز على التربية ونشر التعليم، والعودة بالإسلام إلى منابعه الأولى.

المنهج والمعلم ركنا التعليم:

المنهج والمعلم عنصران رئيسان في العملية التعليمية التربوية، وكلاهما مسخر لخدمة المتعلم وتثقيفه، وقد أدرك المستعمر هذه الحقيقة فحرص جاهدًا على إفراغ التعليم من محتواه، ومحاربة القائمين عليه، وكانوا لا يصدرون للتدريس إلا من لا يحرّك ساكنًا ولا يوقظ نائمًا، ممن لا يفقه كتابًا ولا سنة. وقد جعل ابن باديس إصلاح التعليم من أولويّاته، فنادى بإصلاح المناهج، وخطط لإصلاح المعلم.فأما ما يتعلق بإصلاح المناهج التعليمية، فقد دعا إليه بشدة، وتعرض لنقد التعليم في ذلك العهد فقال: (التعليم القديم غير نافع في زماننا لنقصانه، ... فلابد من معرفة العلوم النافعة في الدين والدنيا، أما إذا قصرنا على أحد العلمين ضاع ما يفتقر لذلك العلم المجهول، ولكن أهل زماننا تركوا العلمين معًا ولا حول ولا قوة إلا بالله)[٧٣].

وأما ما يتعلق بإصلاح المعلم، فقد تكلم ابن باديس في أكثر من موطن عن أهمية المعلم الناجح والمربي المؤثر ومنها قوله: (لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم، فإن العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح، صلح الجسد كله، وإذا فسد، فسد الجسد كله)[٧٤]، بل وعمل جاهدًا على تكوين معلمين أكفاء فأرسل البعثات العلمية إلى الجامعات والمعاهد العليا في البلاد الإسلامية، كالأزهر والزيتونة، استعدادًا لما ينتظر مستقبل الجزائر. إذ إن من صفات المعلم المربي في نظر ابن باديس أن يكون متمكنًا من العلوم والفنون التي يدرّسها، ملمًّا بمبادئ فن التعليم، قادرًا على فهم نفسيات المتعلمين[٧٥].

ثانيًا) المحور الديني:

العلم هو السبيل إلى كرامة الإنسان ورفعته وسعادته في الدنيا والآخرة، وللعلم والتعليم أهمية عامة، وللأمة الجزائرية التي حوربت في دينها ولغتها ومدارسها وشخصيتها خاصة، وخير العلوم على الإطلاق هي علوم الشريعة والفقه في الدين؛ إذ به ينضبط الناس بسلوكهم، ويكونون مسلمين بحق، وفي هذا الصدد يقول ابن باديس مخاطبًا الشعب: (تالله لن تكون مسلمًا إلا إذا حافظت على الإسلام، ولن تحافظ عليه إلا إذا فقهته، ولن تفقه إلا إذا كان فيك من يفقهك فيه)[٧٦].

إن مفهوم التربية عند ابن باديس هي التربية الإسلامية حصرًا، التي تعد الطريق السليم للإصلاح الاجتماعي الذي يقوم على أساس أن الأخلاق تتبع من الداخل، فهي الوسيلة لتطهير القلوب وتغيير النفوس، التي بها يتغير المجتمع، فيقول مبيّنًا لهذا المعنى: (إن الذي نوجّه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا، وتربية غيرنا، هو تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر)(٧٧).

وعليه يجب أن تكون هذه التربية مستوحاة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، اللذين رسما للمسلم منهج سلوكه في الدنيا، وعلاقته بما حوله في عالمي الغيب والشهادة، فهو يدعو إليه ويحذر من التقصير فيها فيقول: (إن أبناءنا هم رجال المستقبل وإهمالهم قضاء على الأمة إذ يسوسها أمثالهم، ويحكم في مصائرها أشباههم، ... ونحن ينبغي هنا أن نربي أبناءنا كما علمنا الإسلام، فإن قصّرنا فلا نلومن إلا أنفسنا)(٧٨).

اهتمامه بالمرأة تعليمًا وتربيةً وأخلاقًا:

كان أهالي الجزائر في زمن الاستعمار يمنعون بناتهم من الذهاب إلى المدارس الحكومية، غيرة على الأعراض وحفاظًا على الدين؛ لأن القائمين عليها ليسوا مسلمين، فبقيت المرأة الجزائرية بعيدة عن التعليم، فهي لا تخلو من أحد أمرين: إما محرومة نهائيًّا من التعليم بحيث لا تعرف القراءة والكتابة، أو متعلّمة تعليمًا أجنبيًّا سطحيًّا يعمل على استخفافها بعروبتها وإسلامها وتقاليدها.

والنوع الثاني من النساء أشرّ من النوع الأول في نظر ابن باديس فيقول فيهن: (وإذا تركناهن على ما هن عليه من الجهل بالدين، فمحال أن نرجو منهن أن تُكَوّنَّ لنا عظماء الرجال... وشرٌّ من تركهن جاهلات بالدين، إلقاؤهن حيث يُرَبَّين تربية تنفرهن من الدين، أو تحقره في أعينهن، فيصبحن ممسوخات لا يلدن إلا مثلهن)(٧٩)، بل وربما جعل الأولى خيرًا من الثانية فيقول: (فالجاهلة التي تلد أبناء للأمة يعرفونها مثل أمّهاتنا – رحمهن الله – خير من العالمة التي تلد للجزائر أبناء لا يعرفونها)(٨٠).

فأدرك ابن باديس هذا الخطر المحدق، فنادى بضرورة تعليم البنات وتربيتهن، وتوفير المكان المناسب لهن دون اختلاط بالذكور، معطيًا بذلك روحًا جديدة للتعليم في الجزائر لم تكن معهودة فيها من قبل(٨١). حين أولى ابن باديس تعليم المرأة المسلمة اهتمامًا كبيرًا، ذلك لأن المجتمع لا ينهض إلا بالجنسين الرجل والمرأة مثل الطائر لا يطير إلا بجناحيه.

وكان من إنجازاته في هذا المجال أنه أعفى البنات من رسوم اشتراك التعليم في مدرسة

الجمعية تشجيعًا لهن فقد نص قانون جمعية التربية والتعليم على مجانية تعليم البنات بخلاف البنين القادرين فقال: (فأما البنون فلا يدفع منهم واجب التعليم إلا القادرون، وأما البنات فيتعلمن مجاناً لتتكون منهن – بإذن الله – المرأة المسلمة المتعلمة)[٨٢].

ثالثًا) المحور الثقافي:

كان ابن باديس مدرسة أخلاقية بسلوكه وتصرفاته ومعاملاته، وكان نموذجًا صادقًا وصورة حية لتلك المبادئ التي طالما نادى بضرورة العودة إليها من أجل إنقاذ شعبه وإسعاده،لذا دعا ابن باديس بشدة إلى تعليم الصبيان والبنات والنساء هذه الأخلاق وتلك القيم، فإذا وُجد التقصير في التربية لاسيما النشأ الجديد كان الظلم والعدوان وهذا نتيجة حتمية وهذا ما كان يؤكد عليه الشيخ بقوله: (ما كثر الفساد في أمة إلا بعدم تربية الأولاد، فإننا نرى الأولاد مهملين يتعلمون الفساد، ... وفي الغالب إن إهمال الأولاد من الأمهات الجاهلات أو المتعلمات تعلّمًا ناقصًا)[٨٣].

وكان هدفه من منهجه الإصلاحي في التربية والتعليم هو: (الرجوع بالشعب إلى عقائد الإسلام المبنية على العلم، وفضائله المبنية على القوة والرحمة، وأحكامه المبنية على العدل والإحسان، ونظمه المبنية على التعاون بين الأفراد والجماعات، والتآلف والتعامل والتعاون)[٨٤].

ويكاد تكون هذه سجيته التي نشأ عليها، حتى يصفه أحد تلاميذه فيقول في حقه: (كان ابن باديس زاهدًا عفيفًا، متسامحًا ورعًا، رفيقًا متفائلاً، أوّابًا توّابًا، يعفو عمن أساء إليه، صارمًا في الحق له شجاعة نادرة، لا ينطق إلا في الحق، لا يسكت على باطل)[٨٥].

المطلب الثالث: مصادر استمداد فكره:

يرى ابن باديس أن التربية الإسلامية نابعة من الكتاب والسنة النبوية وهما عماد الدين الحق الخاتم المغني عن سائر الأديان، وما دامت التربية الإسلامية نابعة من أكمل الكتب السماوية وأتمها فلابد أن تكون هي التربية الكاملة التامة الملائمة لحياة الناس وظروفهم مهما تعاظمت المتغيرات، فهي بذلك ضرورة للحياة الإنسانية.

١) **القرآن الكريم:**

ونجد ابن باديس قد ركّز على القرآن الكريم تركيزًا كبيرًا، إذ أتمّ تفسير القرآن على شكل دروس كان يلقيها في المسجد مدة خمس وعشرين عامًا، وكان على شكل مجالس تفسيرية أسماها مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، فهو كان يعتقد بأن القرآن أتى بالعجائب في

إصلاح البشر، وهو كذلك في كل وقت، إذا وجد من العقول التي تفهمه، وهو لا يؤتي ثماره في إصلاح النفوس إلا بالفهم والتطبيق العلمي والعملي(٨٦). وكان حريصًا على تتبع قواعد التربية القرآنية وقوانينها، ولفت الأنظار إليها والحث على العمل بها والتنفير مما يخالفها(٨٧).

٢) السنة النبوية:

ثم تأتي السنة النوبية المصدر الثاني بعد كتاب الله تعالى، وفي مصدريتها يقول ابن باديس: (فقه القرآن يتوقف على فقه حياة النبي ﷺ وسنته، وفقه حياته ﷺ يتوقف على القرآن، وفقه الإسلام يتوقف على فقههما)(٨٨). وقد كان حريصًا في نقل الأحاديث وروايتها فكان أكثر ما ما يروي عن البخاري ومسلم، وكان لموطأ الإمام مالك منزلة كبيرة عند ابن باديس، حتى أنه قام بشرحه على شكل دروس يلقيها في المسجد متزامنًا مع تفسير كتاب الله تعالى، وختم درس الحديث الشريف والذي أسماه مجالس التذكير من حديث البشير النذير بعد ختم التفسير بقليل(٨٩).

٣) فهم السلف الصالح:

والمقصود بالسلف الصالح هم صحابة رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان وتابعو التابعين رضي الله عنهم أجمعين، وكذلك فهم أئمة السلف من بعدهم من العلماء والمجتهدين، وفيهم يقول ابن باديس: (ليكن دليلنا وإمامنا كتاب ربنا وسنة نبينا، وسيرة صالح سلفنا، ففي ذلك كله ما يعرفنا بالحق ويبصرنا في العلم ويفقهنا في الدين)(٩٠).

وقد جاءت هذه المفاهيم واضحة جلية في مبادئ النظام الداخلي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إذ اعتمدت الجمعية على القرآن الكريم والسنة المطهرة عند وضع مبادئها الإصلاحية، ومن ضمن البنود المنصوص عليها:

١) القرآن الكريم هو كتاب الإسلام.
٢) السنة (القولية والفعلية) الصحيحة تفسير وبيان للقرآن.
٣) سلوك السلف الصالح (الصحابة والتابعون وأتباع التابعين) تطبيق صحيح لهدي الإسلام.
٤) فهوم أئمة السلف الصالح أصدق الفهوم لحقائق الإسلام ونصوص الكتاب والسنة(٩١).

الخـــاتمـــة

بعد إتمام بحثي بحمد الله تعالى وتوفيقه، وكانت الرحلة معه ممتعة ونافعة لي، خرجت بنتائج عدة أسطرها بما يأتي:

١. إن الأمة المحمدية لن تخلو من المصلحين والدعاة على مر الأزمنة فكلما مضى مصلح أعقبه الله بآخر يجددون لهذه الأمة أمر دينها.
٢. وجود الشيخ رحمه الله في بلاد المغرب العربي أدى إلى قلة معرفته عند أهل المشرق في حياته وسيرته العلمية والفكرية والدعوية، فعلى أهل المشرق والمغرب تبادل الخبرات الفكرية.
٣. تاريخ الأمة الإسلامية غني بالتجارب والعبر، وما على المسلمين سوى الغوص فيها لاستخراج الدروس النافعة لإحياء الأمة من جديد.
٤. لكي يتصدر الداعية في دعوته عليه أن يبني نفسه علميًا وفكريًا وإيمانيًا، وهذا هو زاد الداعية كزاد المسافر في سفره، وبدونه لا يستطيع إكمال مشوار الطريق.
٥. على الداعية أن لا يبخل بوقت أو جهد أو عمل، فهو موقوف لخدمة الدين، وهو سائر على درب الأنبياء والمرسلين.
٦. أعداء الإسلام لا يألون جهدًا في محاربة المسلمين، بصور شتى وطرق عدة، فإن ولّى زمن الاستعمار العسكري، فقد جاء زمن الاستعمار الفكري والسياسي والاقتصادي.
٧. لن يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أوّلها، وإنما صلح بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فحاجة الأمة إلى الإصلاح الديني والتربوي والتعليمي قائمة، وهكذا فعل سلف هذه الأمة.
٨. الأمة التي يفشو فيها الجهل والأخلاق الرذيلة يكثر فيها الظلم والعنف والأنانية، والأمة المتعلمة المتربية يشيع فيها العدل والتسامح ويتعايش الناس رغم اختلاف وجهات النظر.
٩. تعليم المرأة وتثقيفها وتربيتها أمر ضروري، والتقصير فيه ليس تقصيرًا في نصف المجتمع بل تقصير في المجتمع كله.

هوامش البحث

(١) والملمح العام لهذه المرحلة هو نشوؤه وسط أسرة وبيئة أخذ منهما ثقافةً وقيمًا، وكان يفخر بنسبه، إذ اختصر عليه كثيرًا من الطريق.

(٢) قسنطينة: مدينة تقع جنوب شرق العاصمة الجزائرية، أصبحت أثناء الخلافة العثمانية عاصمة للشرق الجزائري، وعُين عليها حاكمًا تركيًّا يسمى (الباي)، وتمتاز بآثارها الرومانية القديمة وجسورها المعلقة. ينظر: كتاب الأمة، العدد ٥٧ محرم،عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مصطفى محمد حميداتو، ١٤١٨ه السنة السابعة عشرة، وزارة

الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ١٩٩٧م. هامش (١) صفحة ٦١. وينظر: شخصيات لها تاريخ، د. محمد عمارة، دار السلام، القاهرة، ط/١، ٢٠٠٨م.

(٣)ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت:١٣٩٦ه)، دار العلم للملايين، ط/١٥، ٢٠٠٢م. ٢٨٩/٣. معجم أعلام الجزائر – من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط/٢، ١٩٨٠م. ص ٢٨.

(٤) ينظر: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير المعروف بتفسير ابن باديس، للإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس، جمع وترتيب د. توفيق محمد شاهين ومحمد الصالح رمضان، اعتنى به وخرج أحاديثه وآثاره أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد، الجزائر، ط/١، ٢٠٠٩م. (والإحالة إلى هذه الطبعة بالجزء والصفحة)٣٥/١.

(٥)ينظر مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، الإمام العلامة عبد الحميد بن باديس، المعروف بتفسير ابن باديس، جمع وترتيب د. توفيق محمد شاهين ومحمد الصالح رمضان، علّق. والإمام المجدد ابن باديس والتصوف، د. أحمد محمود الجزار، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط/١، ١٩٩٩. ص ١٦-١٧.

(٦) ينظر: آثار ابن باديس ، د. عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر، ط/٣، ١٩٩٧م.

(٧) ينظر: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ص ٦٧.

(٨) ينظر: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، صفحة ٦١.

(٩) الإمام المجدد ابن باديس والتصوف، ص ١٩.

(١٠) مجلة لمحات العدد ٣، الجزائر، السنة ١٩٦٩م، ص ١٣.

(١١)والملمح العام لهذه المرحلة هو تزوده بالعلم والفكر بعد مرحلة الشباب التي حفظ فيها القرآن وأخذ بداية علومه من شيوخ الجزائر.

(١٢) جامع الزيتونة وهو أشبه بالثانوية تدرّس فيه العلوم الشرعية واللغوية على الطريقة التقليدية، وكان نظام الدراسة فيها أن يقضي الطالب مدة سبع سنين حتى يحصل على الشهادة التطويعية، لكن يُسمح للطالب المتمكن أن يتجاوز سنوات ويوضع في الصف الذي يؤهله له امتحان يجرى للطالب، وقد أجرى ابن باديس الامتحان فالتحق بالسنة الخامسة فلم يدرس في الجامع إلا ثلاث سنوات نال بمقتضاها شهادة التطويع. ينظر: الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث ص ٢٦.

[١٣] ذكر الطالبي أعدادًا من الأساتذة والشيوخ الذين درّسوا ابن باديس شتى العلوم، لكني لم أتوسع بذكرهم كي لا يطول المقال، ينظر: آثار ابن باديس ١/٧٥-٧٦. وتفسير ابن باديس

[١٤] مجلة البصائر السنة الأولى، عدد ١٦ الجزائر، الجمعة ٢ صفر ١٣٥٥ه.

[١٥] مجلة الشهاب ج٤-م١٤ ص ٢٨٩، جمادى الثانية وربيع الثاني ١٣٥٧ه.

[١٦] آثار ابن باديس، ٣١٧/٤.

[١٧] ينظر: النشاط العلمي محمد صالح الجابري، الدار العربية للكتاب، ص ٦١-٦٤.

[١٨]ينظر: ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير،دار الشروق، القاهرة، ط/١، ١٩٩٩م. ص ٣٢.

[١٩] جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائرص ٨٦.

[٢٠] النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس ١٩٠٠-١٩٦٢م، ص ٧٥.

[٢١] ينظر: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر ص ٩٣.

[٢٢] ينظر: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ص ٧٥، وعبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، د. فهمي توفيق محمد مقبل، بحث منشور

[٢٣] ينطر: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر ص ٩٥.

[٢٤] آثار ابن باديس، ٨٠/١.

[٢٥] ينظر: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر ص ٩٦.

[٢٦] مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والإعلام، ص، ١٩

[٢٧] الشهاب، ج٨، م١٣، ص ٣٥٥.

[٢٨] ينطر: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر ص ٩٩. وآثار ابن باديس

[٢٩] ينظر: العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري (متابعة نقدية)، ص ٢١٩.

[٣٠]تفسير ابن باديس ٣٧/١.

[٣١]والملمح العام لهذه المرحلة هو التفاني في الدعوة والإصلاح وسلوك جميع السبل التي تنهض بالأمة وبالمسلمين، وفيها الكثير من المعاناة والأحداث الجسام، وفيها أعطى ثمرة

[٣٢]ابن باديس فارس الإصلاح ص ٣٦.

[٣٣] المصدر السابق ص ٣٧.

[٣٤] ينظر: المصدر السابق ص ٣٦.

[٣٥]المصدر السابق ص ٣٨.

[٣٦]تفسير ابن باديس ص ١٤.

[٣٧] الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس من آرائه ، ط/١، ١٩٨٣م. ص ٢٨-٢٩.

[٣٨]ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ٢٠١٠م. ص ١٤٦.

[٣٩] تفسير ابن باديس، ١١/١.

[٤٠]المصدر السابق ٣٨/١.

[٤١] آثار ابن باديس، ١٠/١.

[٤٢] ينظر: نوابغ العرب، الشيخ عبد الحميد بن باديس، مجموعة أساتذة، دار العودة، بيروت، العدد ١٤، ١٩٧٦م. ص ١٠٠-١٠١. ص ١٤-١٥.

[٤٣] ينظر: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ص ١٠٣.

[٤٤] ينظر: آثار ابن باديس، ٩٥/١، وعبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ص ٨٦.

[٤٥] ديوان محمد العيد آل خليفة، ص ٤٣٠.

[٤٦] ينظر: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ص ٢٨.

[٤٧] ينظر: المصدر السابق ص ٢٨-٢٩.

[٤٨] في مهب المعركة، مالك بن نبي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م. ص ٤٤.

[٤٩] المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها من ١٩٠٣-١٩٣١، محمد ناصر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٨م. ٢٠٥/١-٢٠٦.

[٥٠] ينظر: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ص ٢٢.

[٥١] الزاوية: وهي مسجد يُبنى لشيخ الطريقة الصوفية وبجنبها مسكنه، ويكون فيها تدريس العلوم الشرعية واللغوية مع حفظ القرآن، وفي بعضها يتولى الشيخ التدريس بنفسه.

[٥٢] سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية. ص ٧٣.

[٥٣] في مهب المعركة، ص ٥٦.

[٥٤] مظاهر المقاومة الجزائرية من عام ١٨٣٠م ص ١٠٩.

[٥٦] مذكرات شاهد القرن، مالك بن نبي، دار الفكر بيروت، ط/٢، ١٩٨١م. ص ١٨٢.

[٥٧] صفحات من الجزائر، دراسات ومقالاتص ٣٢٤.

[٥٨] ينظر: ابن باديس وعروبة الجزائر، محمد الميلي، ٢٠٠٧م. ص ٤٣.

[٥٩] ينظر: الإسلام الجزائري. ص ١٧

[٦٠] آثار ابن باديس ١٠٠/١.

[٦١] سورة الرعد من الآية ١١.

(٦٢) ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير ص ٩٨.
(٦٣) ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير ص ١١٤.
(٦٤) سورة الأعراف من الآيات ٥٩ و ٦٥ و٧٣ و٨٥.
(٦٥) ينظر: عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، ص ٨.
(٦٦) المصلح الثائر الإمام عبد الحميد بن باديس، ص ٤٣.
(٦٧) ينظر: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية ص ١٠٨-١٠٩.
(٦٨) ينظر: ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير ص ١٠٩-١١٠.
(٦٩)الفكر التحرري عند عبد الحميد بن باديس وأثره في استقلال الجزائر ص٩٩.
(٧٠) ينظر: آثار ابن باديس ١١٤/١ و ١٨٤/٣.
(٧١) ينظر: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر ص ١٧٢-١٧٣.
(٧٢) ينظر: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية ص ١١٧.
(٧٣) تفسير ابن باديس ٢١/١.
(٧٤) آثار ابن باديس ٢١٧/٣.
(٧٥) ينظر: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية ص ١٤٧-١٤٨.
(٧٦)المصدر السابق ص ٩٧.
(٧٧) تفسير ابن باديس ١٠١/١.
(٧٨) ابن باديس من آرائه ومواقفه ص ٩٨-٩٩.
(٧٩) عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية ص ١٥١.
(٨٠) ابن باديس وعروبة الجزائر ص ١٣٨.
(٨١) ينظر: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية ص ١٤٩-١٥٠.
(٨٢) ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير ص ٩٧ و ١١٤.
(٨٣) آثار ابن باديس ٢١/١.
(٨٤)المصدر السابق ٤٩٢/٣.
(٨٥) تفسير ابن باديس تقدمة توفيق محمد شاهين ص ٧.
(٨٦) ينظر: ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير ص ٨٥.
(٨٧) ينظر: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر ص ١٧٠.
(٨٨) آثار ابن باديس ١٦٨/١.

(٨٩) ينظر: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر ص ١٦٩.
(٩٠) تفسير ابن باديس ٣١١/١.
(٩١) ينظر: ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير ص ٧٥-٧٦.

المصـــــادر

القرآن الكريم.
١. آثار ابن باديس ، د. عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر، ط/٣، ١٩٩٧م.
٢. ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، د. محمد بهي الدين سالم، دار الشروق، القاهرة،
٣. ابن باديس وعروبة الجزائر، محمد الميلي، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، ٢٠٠٧م.
٤. الإسلام الجزائري، من الأمير عبد القادر إلى أمراء الجماعات، جورج الراسي، دار الجديد،
٥. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت:١٣٩٦ه)، دار العلم للملايين، ط/١٥،
٦. الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس من آرائه ومواقفه، محمد الصالح الصديق، دار البعث قسنطينة، الجزائر، ط/١، ١٩٨٣م.
٧. الإمام المجدد ابن باديس والتصوف، د. أحمد محمود الجزار، منشأة المعارف، الإسكندرية،
٨. الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، دار المعارف،
٩. الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث، عامر علي العرابي، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٠٨ه.
١٠. التخطيط التربوي في المنظور القرآني (دراسة فكرية)، محمد صادق محمد، أطروحة
١١. التربية الروحية، علي عبد الحليم محمود، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط/١،
١٢. جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر، عبد الرشيد زرّوقه، دار الشهاب،
١٣. ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ٢٠١٠م.
١٤. سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية ١٨٣٠ ١٩٥٤، د. يحيى بو عزيز،
١٥. شخصيات لها تاريخ، د. محمد عمارة، دار السلام، القاهرة، ط/١، ٢٠٠٨م.
١٦. الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، د. تركي رابح، المؤسسة
١٧. صفحات من الجزائر، دراسات ومقالات من ١٩٦٢ إلى ١٩٧٢، د. صالح خرفي، الشركة
١٨. عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، د. فهمي توفيق محمد مقبل، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.

١٩. عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مصطفى محمد حميداتو، كتاب الأمة، العدد ٥٧ محرم ١٤١٨ه السنة السابعة عشرة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر،
٢٠. العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري (متابعة نقدية)، د. عبد الحليم عويس، مكتبة
٢١. في مهب المعركة، مالك بن نبي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.
٢٢. مجالس التذكير من حديث البشير النذير، الإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس، جمع وإعداد عبد الرحمن شيبان، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ط/١، ١٩٨٣م.
٢٣. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المعروف بتفسير ابن باديس، الإمام العلامة عبد الحميد بن باديس، د. توفيق محمد شاهين ومحمد الصالح دار الكتب العلمية، بيروت،
٢٤. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المعروف بتفسير ابن باديس، الإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس، جمع وترتيب د. توفيق محمد شاهين ومحمد الصالح رمضان،
٢٥. مجلة البصائر السنة الأولى، عدد ١٦ الجزائر، الجمعة ٢ صفر ١٣٥٥ه.
٢٦. مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والإعلام، الشركة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، أيار –
٢٧. مجلة الشهاب ج٤-م١٤ ص ٢٨٩، جمادى الثانية وربيع الثاني ١٣٥٧ه.
٢٨. مجلة لمحات العدد ٣، الجزائر، السنة ١٩٦٩م.
٢٩. مذكرات شاهد القرن، مالك بن نبي، دار الفكر بيروت، ط/٢، ١٩٨١م.
٣٠. مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط/١، ٢٠٠١م.
٣١. مظاهر المقاومة الجزائرية من عام ١٨٣٠م حتى ثورة نوفمبر ١٩٥٤م، محمد الطيب العلوي، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ١٩٦٨م.
٣٢. معجم أعلام الجزائر – من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط/٢، ١٩٨٠م.
٣٣. المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها من ١٩٠٣-١٩٣١، محمد ناصر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٨م.
٣٤. النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس١٩٠٠-١٩٦٢م، محمد صالح الجابري، الدار العربية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٣.
٣٥. نوابغ العرب، الشيخ عبد الحميد بن باديس، مجموعة أساتذة، دار العودة، بيروت، العدد ١٤، ١٩٧٦م.